# من القاهرة الى انقرة

## مشاهدات في تركيا الجديدة

— ١ —

كنت اجهل تركيا الجديدة ، وهي جارتنا ، فرأيت منها في الرحلة الاخيرة لمحات تستوقف البصر . وكنت ارتاب في صحة ما يقال عنها حتى شهدت بعيني

***

كانت الدولة العثمانية في عهدها الاخير، امبراطورية مفككة الاوصال خاضعة لنفوذ الاجانب، فيها مرتع لاصحاب المغامرة والوشاية ، فلما خرجت من الحرب الكبرى مغلوبة على امرها ، ونزل قواد الحلفاء على ضفات البوسفور ، قيل ان «مريض اوربا» قد قضى

ولكن شرارة الحياة كانت كامنة في النفوس، ورغم الرماد الكثيف الذي كان يغطيها — رماد الحرمان والخذلان — كفت نفخة واحدة من روح تقدح الشرر ، وطنية وعزيمة ماضية ، فتطاير الرماد ، وبدت الشرارة ، وما لبثت ان اصبحت جمرة تتأجج

فالانقلاب الخطير الذي انتقل بتلك البلاد من الامبراطورية العثمانية المريضة المشفية ، الى تركيا الجديدة التي تتقد حياة وزوعاً الى العلى ، لهو من انقلابات التاريخ الخطيرة ، ولولا شدة قربنا اليه ، والقرب يحير البصر ، لبدا لنا في كمال روعته وجلاله

ما بالك بقوم يكسرون بفلول جيش مهزوم ، جيشاً اوربيًّا منظماً تؤيده جيوش الحلفاء واساطيلهم ، بل ما بالك بقوم يتحدون الحلفاء ويخترقون مناطق الحياد التي عينها قواد الحلفاء على ضفات الدردنيل ، بل ما بالك بقوم يعمدون لكبار رجال السياسة في لوزان ولا يخرجون من هنالك الاّ والمشيئة القومية التي اعرب عنها الميثاق القومي قد تحققت ، بل ما بالك بقوم يكسرون كل قيد ، ويدرسون كل حاجز يعيقهم عن التقدم ، فيسيرون ، رؤسهم مرفوعة ، وعيونهم شاخصة الى العلى

ليس لنا ان نحكم على هذه القيود والحواجز — فهذا شأنهم هم ، ولكن لنا ان نتفهم الروح العنيفة التي انطلقت من شعب منهوك مخذول ، فأتت بالمعجزات

ان الذين يهمهم تحول الاجتماع ، فيدرسونه في الكتب ، عليهم بزيارة تركيا ، فليس في

امثلة على عمارة الهياكل اليونانية

التاريخ ما هو ابعث على الدهشة والاعجاب من هذا التحول السريع المتسق القائم على اساس . ان ما فعله بطرس الاكبر في روسيا ، وما احدثه زعماء اليابان الحديثة من التحول ، ليس الا ظلاً باهتاً من ظلال الانقلاب الذي شمل الامة التركية في كل ناحية من نواحي حياتها العامة والخاصة

بل ان الذين تخلبهم سير الرجال المبدعين امامهم سيرة الغازي يدهشون بها. انهُ بعد كل الوان الظفر التي اجتمعت له ، عرف اين يقف . وهذا سر التسلط على نوازع النفس واهوائها

في تركيا ، آثار خالدة تعرض لنا مشاهد التاريخ الحافلة ، وعلى ضفات البوسفور خمائل وحدائق وجزائر كأنها قطع من الجنان . وفي جوار استانبول وقلب الاناضول مدن مياه تصلح للاستشفاء . وريادة هذه الاماكن ، تمهد السبيل لاستئناف الصلة الوثيقة التي كانت تربطنا بتركيا . غير اننا يجب الا نكتفي بريادة المتاحف والخمائل ومدن المياه ، بل علينا ان ندرس مقومات تركيا ، واتجاه روحها ، وان نجتمع بادبائها وكتابها . لان هذه الامور تحكم صلات الفهم والتعاطف بين الشعبين

***

كان موعد سفر الباخرة التركية «ايجه» في الساعة الثالثة بعد ظهر الاثنين (١٤ اغسطس ١٩٣٣) فكنا في الساعة الثانية والنصف ، فاذا الرفاق كلهم هناك وكلهم طيب تابع وصحافي اديب وعلى رأسهم الدكتور علي باشا ابراهيم . وكان اول ما استرعى نظري في الباخرة انها لا تفرق عن السفن الاوربية في شيء ، نظافة وادارة وحسن ترتيب وتنسيق . ثم خبرنا دقتها المتناهية في حفظ المواعيد في القيام والوصول . رجال السفينة كلهم اتراك ، غاية في الادب واللطف ورعاية المسافرين . والقبطان سعيد بك تركي ، وضابطه الاول تركي كذلك ، والباخرة في ايديهما كلها في ايدي ابرع الملاحين . رحم الله اياماً كان يقال فيها ان ربان مدمرة تركية لم يستطع الوصول الى بور سعيد ، لانها لم تكن قد كتبت على الخريطة ! انا اليوم في هذه السفينة ، التي تفضل كثيراً من السفن الاوربية التي تمخر اليم بين شواطىء البحر المتوسط ، تحس في كل دقيقة من دقائق السفر ، ان الاكف التي تتولى مسيرها ومصيرها في هذا العباب المخضم ، اكف يصح الاعتماد عليها

بعد مسير نهار وليلتين من الاسكندرية ، وصلنا الى بيريه مرفأ اثينا عاصمة اليونان. وليس في بيريه ما يستحق الذكر ، الا ما رأيناه من حقارة مقاهيها ، وكثرة الحفر في الشوارع التي مررنا بها ولا بدع فهي مرفأ صغير ، ومواردها قليلة ، وكل الحكومات تشكو شدة الضائقة ، وحتى مرسيليا نفسها أكبر مرفأ على بحر الروم ، لا تخرج في الحي الحاذي للشاطىء عما تقدم الا ان شوارعها اوسع ومبانيها ومستودعاتها اكبر . وأردنا استئجار سيارات تنقلنا الى اثينا وتسير بنا فيها الى حيث شاء من المتاحف والآثار ثم تعود بنا الى بيريه مساء فطلب

السائق ٦٠٠ دراخمة ( وهي نحو جنيه مصري ) ولكن الاستاذ رمزي ( منظم الرحلة ) رفض التسليم بهذا السعر فجدَّ في المساومة بلهجة الاتراك الاسياد، فتمكن بعد ربع ساعة او نزيد ، من استئجار ثلاث سيارات بمُاعَاة دراخمة

وركبنا السيارات الثلاث الى اثينا ؛ فاكدنا نخرج من حي المرفإ ونستدير بيريه حتى انفسحت امامنا طريق رحبة واسعة مرصوفة أحسن رصف ، تقوم على جانبيها الاشجار الظليلة . فبلغنا العاصمة في اقل من ثلث ساعة

***

هذه اثينا ! ام الحضارة الاوربية ، ومهد فنها ، وأدبها ، وحكمتها ، وفلسفتها . هذه مدينة بركليس وسقراط وصولون وافلاطون وارسطوطاليس وفيدياس واسخيلس وصفوقليس! اية مدينة في شرق الارض وغربها ، تستطيع ان تباهي بكوكبة ، من العبقريين تضاهي هذه الكوكبة ؟ اية مدينة في قديم التاريخ وحديثهِ تستطيع ان تطاول اثينا في ما اخرجته للعالم من اصول الفن ، ومبادىء العلوم ، ومذاهب الفلسفة ، وروائع الادب

انك لاتكاد تفيق من التأمل في ما توحيه اليك هذه الاسماء ، ومن الروعة تستولي عليك اذ تحس أن ارواحهم تطل عليك ، حتى تكون السيارة قد توقفت بك الى سفح اكمة الاكروبول

***

الاكروبول ! انك في اثينا تنتقل من أرضك الى أرض خالد! هذا هيكل المشتري . وهذه قوس طريانوس. تراها الى يمينك وانت ذاهب من بيريه الى اثينا . وهذه قمة الاكروبول تطل منها على السهول التي تحيط بسفحها وتشرف على البحر الذي رأى في العصر القديم سفن الفرس تتحطم امام جزيرة سلاميس بسفن اليونان . خفف الوطء ! ان كل قدم مربعة تدوسها أرض يقدسها الفن والعبقرية . أتذكر ما يقصهُ التاريخ كيف قضى اكتينوس ومنكليس تسع سنوات يشرفان على تشييد هيكل البارثنون ، المتسق في جميع اجزائهِ ، المهندم في كل خط من خطوطهِ . أتذكر كيف قضى فيدياس واعوانه تسع سنوات ينقشون تماثيل الافريز في الرخام ، تماثيل رجال لا يقع عليها نظر انسان الاَّ وتسمو في نظره معاني الرجولة الجسدية . تماثيل آلهة تبدو في جلالها ووقارها آيات فلا يصدق راثيها ان آلهة الاقدمين كانت تقتل وتعذب. لقد ظلَّ هذا الهيكل — البارثنون — يتوّج اكمة الاكروبوليس قروناً عدة ، تلمع أنوارهُ الزاهية في نور الشمس، فلا يسمو اليهِ نظر جيل من الناس الاَّ ويشعرون بان في هذا الهيكل بلغ الرجال أعلى مراتب الابداع ورأوا لمحات من عروش الآلهة

فاذا بلغت القمة ، رأيت بقايا من الرواق المعمد ، كأنها تنتظر زلزلة او مدفعاً ليكمل تدميرها . الف قطعة وقطعة من الحجر معفرة بالتراب تحت قدميك !

استانبول تحيك بقبابها ومآذنها

داخل مسجد آيا صوفيا

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣ — امام صفحة ٣٣٩

أشبع بنظرك عن هيكل البارثنون . هذه بقايا تمثال للزهرة . وهذه انقاض هيكل النصر غير المجنح ( اشارة الى اثينا التي حبت اليونان نصرها وكانت ربة من دون اجنحة ) . وعند المنحدر الجنوبي الشرقي متحف صغير ، ولكنهُ يضم امثلة جيدة في الغالب من نقش الافريز .. كل اوضاع الجسم الانساني ذكراً وانثى في حالتي الراحة والحركة ، تراها ممثلة أدق تمثيل ، منقوشة أبرع نقش ، في هذه الحجارة الصمّ ، فتكاد ترتعش وتتكلم

اما الاحياء الحديثة في اثينا ففخمة واسعة الشوارع ، فيها ميادين رحاب فساح ، ولكنني لحظت في زيارتي الاولى لها ان على القوم الذين يسيرون في الشوارع مسحة من الكآبة ، ولعلها همٌّ وهمّةٌ ، لانني ذكرت من دون وعي ، اننا ذاهبون في ضيافة الامة التركية ، التي غلبت اليونان وطردتهم من آسيا الصغرى وتراقية الشرقية ، في ذل وخذلان ، بعد ما وعدهم معظم الحلفاء بالتأييد فتخلوا عنهم

والمعيشة في اليونان رخيصة . فالجنيه المصري يعدل نحو ٥٧٠ دراخمة . ذهبنا وكنا في الركب ، اربعة عشر شخصاً ، الى مطعم من اكبر المطاعم في اثينا مشهور بطهيهِ الممتاز وطبقة القوم التي تؤمه وتناولنا الغداء هناك . وكانت زيارة الآثار والمتاحف قد ارهفت القابلية فاكلنا بشهية اصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى والفاكهة وشرب بعضنا الجعة او المياه المعدنية فلما جمع حساب الركب فاذا بهِ ٦٥٠ دراخمة او اكثر من جنيه واحد قليلاً ( وكان الجنيه يومها يعدل ٥٩٠ دراخمة ) . وفي عودتنا زرنا اثينا ثانية وتنازلنا عن ارستقراطية الجنيه المصري — بالمقابلة مع الدراخمة — فركبنا اتوبيساً الى اثينا فكانت اجرة الفرد خمس دوخمات او اقل قليلاً من قرش صاغ وتغدينا في المطعم نفسه وعدنا بقطار المترو وهو من انظف ما رأيت من القطارات التي من قبيله بالاجرة نفسها . وقد أيّد المصطافون هناك من المصريين ما تقدم

— ٢ —

البحر رهوٌ والجو معتدل والهواء عليل والسفينة تمخر بنا بحر مرمرة والركب شديد الحماسة لان أصحاب النظارات منه تبينوا عند الافق مآذن ايا صوفيا والسلطان احمد . هوذا ربان الباخرة سعيد بك والنظارة بيده يتجه الى الاستاذ رمزي قائلاً : « غازي اسطنبولدم » اي ان الغازي في استانبول

لقد بلغنا استانبول مدينة القياصرة احد عشر قرناً من قسطنطين الكبير الى قسطنطين باليولوغوس وهو الذي قتل في حصارها الأخير . استانبول مدينة السلاطين من ايام محمد الفاتح الى وحيد الدين . مدينة الخلفاء من ايام سليمان القانوني الى عبد المجيد . ها هي ذي تحيينا بقبابها الفخمة ومآذنها الدقة الذاهبة في الجو كأنها صلوات المؤمنين مرتفعة الى السماء . انروعة موقعها الطبيعي تأخذ البصر فتنة واعجاباً . فبحر مرمرة يغسل قدميها بمياهه اللازوردية

ومضيق البوسفور والقرن الذهبي يتطلقان حقويها بنطاق من الزمرد او الياقوت الأزرق . تراها قائمة على اكمات متتالية فتدرك الحكمة في اطلاق اسم « روما الجديدة » عليها . وتذكر ما كان لها من مكانة في شؤون التاريخ العالمي فتضعها مع اثينا وروما في مقام واحد . كانت مثابة لعلماء اليونان وحلقة بين حضارتهم القديمة وحضارة القرون الوسطى التي نشأت منها المدنية الأوربية الحديثة وبنيت عليها . تذكر كل ذلك فيخفق قلبك لأنك سوف تطأ شوارعها وتزور آثارها واطلالها . ثم يبدر ذهنك انها كانت سيدة العالم ايام عز السلاطين تأتيها الشعوب من الشرق ومن الغرب خاضعة خانعة . هنا الباب العالي وباب السعادة في طوب قبو وسراي يلدز وقصر بيلربي . انك تتحسر على هذا الماضي المجيد يكون مآله نزول استانبول عن العرش وقيام انقرة مكانها . ولكن استانبول كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية وأما انقرة فعاصمة الجمهورية التركية . ولهذا حديث آخر

ثم تتحدر الشمس من كبد السماء ، ويخبو النور المتوهج فتعود لا تتبين من استانبول الا القباب والمآذن وقد ذهبها الاصيل فتبدو عليها تلك الجلالة الغافية التي لا تبدو عند الغروب الا على العمارة الدينية . فتحسب ان كل هذه المدينة دوراً وقصوراً (وما أقل قصورها) انما انشئت لتكون لهذه الجوامع ، اماء وجواري

***

السراي القديمة أو « طوب قبو » واقعة على ربوة تشرف على البوسفور وهي في الغالب قصور السلاطين القدماء وفيها كنوزهم وآثارهم وملابسهم المزركشة بالجواهر . ولكنك لست تجد بينها قصراً واحداً يستوقف النظر في نظامة بنائه ، بل انك لتحار كيف رضي السلاطين ، وهم أصحاب الحول والطول ، وثروة الامبراطورية العثمانية تحت مطلق تصرفهم ان يعيشوا في تلك القصور ورهن اشارتهم مهندسون شيدوا تلك الجوامع الفخمة . ثم تزداد حيرتك ودهشتك اذ ترى هذه القصور المطلة على البوسفور منكمشة عنه تفصل بينها وبينه اسوار متهدمة وبقعة من الارض نبتت فيها الحشائش والاعشاب وقامت في جوانبها أكواخ متداعية الجوانب ، بدلاً من ان تصلها بذلك الشاطىء الساحر ، حدائق غناء تسبغ على جمال الموقع الطبيعي الذي اغدقته راحة المبدع عليها ، جمال الأثر الفني أخرجته يد صنع ماهر . وانك لتحس هذا الاحساس في معظم حيي اسطنبول وبيرا . روعة من الجمال اغدقتها الطبيعة على استانبول فمنعت يد الانسان عن تعهدها بل انها في الغالب امعنت في تشويه الصورة . فاغلب الأحياء المحاذية للبحر في اسطنبول وبيرا — ما عدا المنطقة التي تحيط بقصر دولمة بغجه وهو مقر الغازي الصيني في الغالب — حقيرة تبعث في النفس القتام بدلاً من ان تكون قطعة من الجنان تدخل على النفس البهجة والمرح

جامع آياصوفيا

جامع السلطان احمد وامامهُ المسلة المصرية

مقتطف اكتوبر ١٩٣٣ امام صفحة ٣٤٠

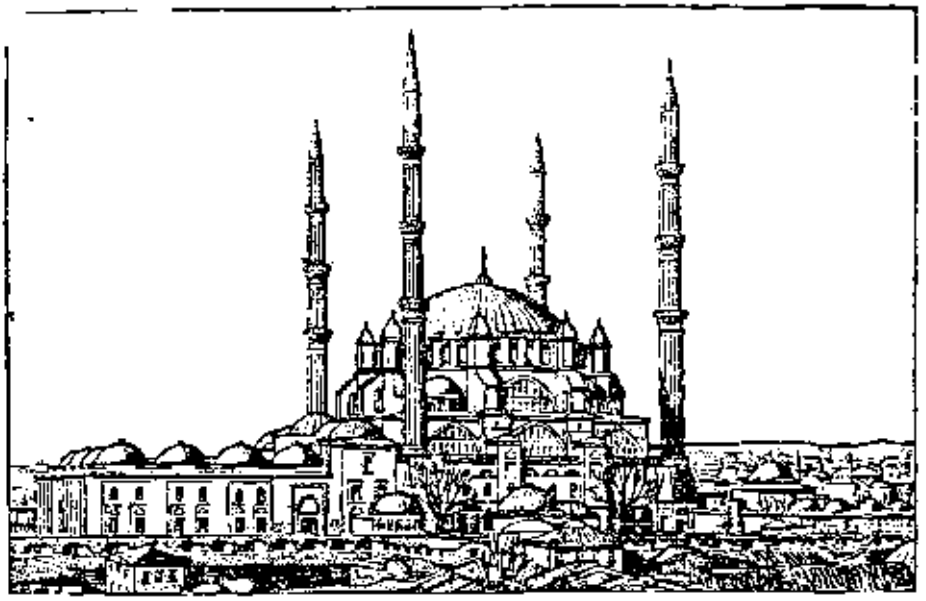

جامع السلطان سليم بادرنه

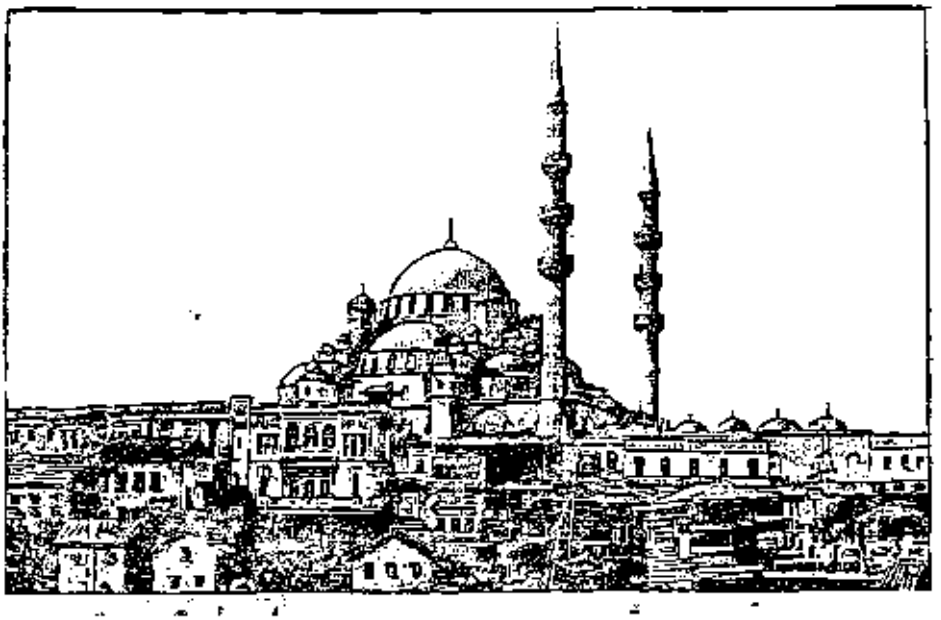

جامع بنی والدی

اما الآثار النفيسة التي تحتوي عليها مباني السراي القديمة فيعجز القلم عن ادائها حقّها من الوصف . ففي نواحٍ منها من القاشاني القديم المصنوع في ازهى العصور التي ازدهرت فيها تلك الصناعة ما لا يدرك قيمته الصحيحة الا رجال الفن . وكان الدكتور علي باشا ابراهيم وهو الخبير بشؤونها يقف امامها وقفة الذاهل المأخوذ بجمالها وقيمتها . فكنا نقف معه ثم نسأله رأيه فيها ، فلا نفوز الاّ بكلمات الاعجاب ، أو بسرد قصير دقيق لمزاياها الفنية والتاريخية فاذا ألححنا في السؤال عن قيمتها ، ذكر الملايين وانتقل من تحفة الى اختها

وفي ناحية اخرى مجموعة فريدة من الصيني ، كان امبراطرة الصين قد اهدوها في الغالب الى السلطان عبد الحميد فظلت مدفونة في اقبية القصر ، الى ان اتيح لها في هذا العصر ، من عني بها فاستنقذها من بخيّ آتها وعلقها على الجدران فاكتست بها من الارض الى السقف . وانك لتنظر الى قطعة الخزف وتعلم انها من الصنف الثمين النادر ثم تدير بصرك في نواحي « المتحف الخزفي » فتجد من صنفها خمسمائة قطعة او تزيد

واذا تحوّلت الى « الخزينة » حيث عرضت كنوز آل عثمان بهرك الماس والزمرد والياقوت الاحمر والازرق واللؤلؤ والفيروز وغيرها من الحجارة الكريمة ، عروش وسيوف وخناجر وملابس ، كلها مرصعة بالحجارة الكريمة . فانك لا تكاد تجيل البصر في ما احتوت عليه خزانة او خزانتان منها ، حتى تمر بالماس والزمرد مرورك بالشيء المألوف

واذا قلت ان هذه الحجارة الكريمة تحصى بالآلاف فانني وايم الحق لا أبالغ . فلا يكاد الانسان يصدق ما يقال عنها حتى يراها بعينيه

ومن الآثار التي في الخزينة ديوان تركي الصنعة مصفح بالذهب ومرصع بالحجارة الكريمة تتدلى من فوقه زمردة كبيرة . وثمة الزرد الذي ارتداه السلطان مراد الرابع يوم افتتح بغداد سنة ١٦٣٨ ب . م . وثمة كأس ذهب كبيرة مرصعة بنحو اثني حجر من الماس المسطح . وكأس أخرى منزلة بالفضة على الطريقة العربية تحمل اسم قايتباي من سلاطين المماليك ( ١٤٨٦ — ١٤٩٦ ) بمصر . ومجموعات نادرة من النقود الرومانية والبيزنطية والعربية والتركية . وملابس السلاطين والامراء الرسمية وأدوات زينتهم

وفي ناحية اخرى من « السراي القديمة » بناء صغير أنيق يدعى كشك بغداد بناهُ السلطان مراد الرابع فاتح بغداد على مثال كشك في تلك المدينة وجدرانه مغطاة من الداخل والخارج بألواح القاشاني الازرق وهو من اندر أنواع القاشاني واغلاها ثمناً

اما المتحف الوطني فيحتوي على امثلة نادرة من الآثار القديمة . تجوّل في ردهاته يسترعيك هنا تمثال « الضاحك الباكي » وهو تمثال فتى روماني اذا نظرت اليه من اليسار

الفيته كئيباً حزيناً واذ نظرت اليه من اليمين رأيت ثغره يفترُّ عن بسمة لطيفة . وهناك قطعة من الحجر تعرف بشاهد بيت المقدس وجدت سنة ١٨٧١ على مقربة من جامع الصخرة وعليها كتابة يونانية . وفي غرفة اخرى اسطوانة عليها كتابة تصف حصار بيت المقدس على يد سنحاريب الملك الاشوري وقد وجدت هذه الاسطوانة في نينوى ، ونقلت الى المتحف البريطاني ثم اهدتها الملكة فكتوريا الى متحف استانبول

وكان مرشدنا داهية ، عالماً باسرار النفس ، فانهُ بعد ما سار بنا من حجرة الى حجرة ، ومن ردهة الى ردهة ، وهو يصف هذا الاثر ويبين لنا محاسن ذلك التمثال ، اذا به هبط بنا الى جناح خاص من الدور الارضي ، وقد بدأنا نملُّ لكثرة ما رأينا ، ودخل بنا غرفة ، وقفنا أمامها فيها مشدوهين . وجلسنا على المقاعد الوثيرة التي وجدناها هناك نحدق في ما أمامنا ولا نشبع تحديقاً

هنا نواويس عثر عليها في صيداء ، منقوشة في الرخام الازهر ، وهي سليمة تكاد تحسبها خارجة من يد الصانع بالامس او كما قال شوقي

ونقوش كأنما نفض الصـــانع منها اليدين بالامس نفضا

وأهم هذه النواويس ناووسان : ناووس الناديات في قطعة فردة من الرخام وجدرانه الاربعة مقسمة الى ١٨ لوحة على كل لوحة منها تمثال امرأة في موقف من مواقف الحزن والتفجع يختلف عن موقف جارتها وجارة جارتها والتمثال منقوش نقشاً بارزاً وعلى الافريز مشهد صيد وعلى حافة الغطاء مشهد جنازة . والمرجح انهُ صنع لستراتون ملك صيداء (نحو ٣٨٠ ق.م)

واجل منهُ الناووس المنسوب الى اسكندر المكدوني . ويرجح البعض انهُ صنع ليدفن فيهِ ولكن برسي جاردنر العالم الاثري يرى غير ذلك ، مع ان نقوشه تمثل معارك الاسكندر . فعلى احد جوانب الناووس ترى الى اليسار الاسكندر راكباً طاعناً فارساً فارسيًّا وفي وسطهِ قائد وجنود يونانيون ومكدونيون من المشاة يقاتلون جنود الفرس . وفي يمينهِ تمثال بارمنيو من قواد الاسكندر . وعلى الجانب المقابل صورة الاسكندر مع احد امراء الفرس في صيد الاسد . وعلى جانبي المقدمة والمؤخرة نقوش اخرى من هذا القبيل فنقوش الواحدة تمثل معركة ونقوش الاخرى مشهد قنص وصيد . والواقع ان النقش في هذا الناووس من أفخر وابدع ما رأيت فان نقوشه جمعت بين الحقيقة والخيال والذوق المبدع ، جمعاً لا تفوقها فيه نقوش اخرى على ما اعلم . وصور الاسكندر أدق صور عرفت لهُ حتى الآن . ففي هذه النقوش من دقة القياس وسهولة التمثيل ومهارة الدلالة ، ما يذهل البصر ويبهج النفس ، بل ان في الوجوه من المعاني التي تساور النفس في ساحات القتال وميادين الصيد ، مما يدل على ان ناقشهِ كان عالماً نفسيًّا علاوة على كونهِ مثَّالاً بارعاً . وانهُ ليسوءنا ان ناقش الناووس لا يزال مجهول الاسم ولكن يرجح ان عهده يرجع الى منتصف القرن الاول قبل الهجرة

مقتطف اكتوبر ١٩٣٣ لوحتان تمثلان بعض النقش على ناووس الاسكندر امام صفحة ٣٤٢

كل اوضاع الجسم البشري في حالتي الحركة والسكون

— ٣ —

ليس في الاسفار ما هو اوقع في النفس من ان تزور المدن القديمة المتصلة باقدم حوادث التاريخ وامجاده فتشاهد آثارها واطلالها مستعرضاً صفحات من تاريخها المجيد الحافل بذكريات الحرب والفن ، وللحضارة ما زالت في مهدها ، ثم تلتفت يمنة ويسرة فترى اهل تلك المدن يستوحون هذه المنشآت لكي تكون امجادها حافزاً لهم في بناء مجد جديد على اطلال المجد القديم

ففي بورصه تجد آثاراً ترتدُّ في التاريخ الى عهد هنيبال . وحمامات تستعيد لك عهد طريانوس وامبراطرة الرومان . وجوامع تشهد فيها صفحة من امجد الصفحات في تاريخ الفن التركي والعمارة الاسلامية . وفي يالوفا مياه حارة عرف الاقدمون كيف يستفيدون بها يقال ان حماماتها بنيت في حكم قسطنطين الكبير وزهت في ايام يوستنيانوس وزوجه تيودورا . وفي ازمير او على مقربة منها جدول يقال انهُ نهر ميليس الذي ولد هوميروس على ضفافه واسوار ومقابر ترجع بها الى عهد استعمار الاغريقيين في فجر حضارتهم المجيدة

ولكنك الى جنب هذا كله ترى في ازمير مدرسة للصناعات يتعلم فيها فتيان الترك مبادىء الحضارة الميكانيكية وأساليبها . هنا يصنعون اجزاء الادوات الميكانيكية المختلفة في ورشها ويبنون المولدات الكهربائية — نعم هم يبنونها اي انهم يصنعون كل جزء من اجزائها ولا يكتفون باستحضار الاجزاء وتركيبها . وترى فيها داراً للعلمين فيها ردهة بديعة لالقاء المحاضرات وحُجَر للتدريس حسنة التهوية تكثر فيها الخارطات والصور ووسائل التجربة والامتحان لان الطابع التجريبي العملي هو الطابع الغالب على التعليم في تركيا الجديدة . وفيها كذلك مكتبة ليست بالغنية ولكن فيها مئات من المجلدات التركية المطبوعة بالحروف اللاتينية في مختلف العلوم والفنون تنبىء بالجهد العظيم الذي بذل من سنة ١٩٢٨ الى الآن في وضع المؤلفات بالحروف الجديدة وطبعها . وفيها كذلك تمثال ضخم لغازي في أكبر ميادينها تراه ممتطياً جواده ومشيراً بيده الى البحر . وعلى القاعدة نقش بارز في البرونز يمثل مشاهد القتال في حرب الاستقلال وفي مقدمتها فتاة بالسراويلات التركية القديمة يقدح الشرر من عينيها وفي يدها علم يخفق . وعلى هذه القاعدة نقش كذلك الامر الذي اصدره الغازي الى جنوده في ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٢ يرمي بدأ الزحف على الجيش اليوناني قال : امامكم البحر المتوسط ! وقد فسر لنا والي ازمير كاظم باشا هذا الامر ، فقال ان المقصود به لا ينحصر في طرد اليونان من آسيا الصغرى الى البحر ، بل يتعداه الى ان لتركيا في البحر المتوسط مكانة يجب ان تحتلها . وفي ازمير كذلك رأينا اول دلائل النهضة النسوية في تركيا ، فقد استقبلنا على الباخرة وفدٌ فيه سيدة مهذبة ، ظنناها زوج رئيس البلدية ، الدكتور بهجت صبحي ، ولكن لم تلبث ان عرفنا انها مستشار في البلدية ، ولها شأن في لجنة حزب الأمة التي تتولى شؤون الثقافة العامة . وفي محكمة الجنايات رأينا

سيدة غضة الاهاب . تتقلد منصب عمو اليسار ؛ وهي مع حداثة سنها وبهاء طلعتها ترى الكرامة والوقار في كل حركة من حركاتها ، وفي كل كلة تفوه بها

وأزمير حاضرة ولاية «آيدن» وهي اكبر مدينة في آسيا الصغرى ( بلغ سكانها في احصاء ١٩٢٧ نحو مائتي الف ) ومن أهم مرافىء البلاد ، تصدر التين والتبغ والعنب الغض والمجفف والسجاد والحرير . وكان الحلفاء قد قطعوا هذه المنطقة لايطاليا ، في اتفاق سري لم يمض لاعتراض روسيا عليه فلما اجتمع مؤتمر الصلح في فرساي ، طلب فنزيلوس ان تمنح أزمير والمنطقة المجاورة لها لليونان . وكان الايطاليون قد خرجوا حردين من مؤتمر فرساي ، فاذن لليونان في احتلال المنطقة فنزل فيها الجيش اليوناني في ١٥ مايو سنة ١٩١٩

فلما وضعت معاهدة سيفر ؛ نُص فيها على ان تظل مدينة ازمير والمنطقة التي تحيط بها في ادارة اليونان خمس سنوات ، أما باقي الحكاية فاشهر من ان يذكر. ذلك ان مصطفى كمال ، ما زال ينفخ في الشعب التركي من وطنيته وعزمه الصلب حتى طرد اليونان من آسيا الصغرى ؛ فلقيت ازمير في الحالين اهوال الحريق والعدوان والتدمير . ولكنك اليوم اذ تطلُّ عليها من البحر ، ترى المباني الجديدة تحييك وكأنها تقول للشيء ان الجروح القديمة قد اندملت وها نحن نقيم مدينة جديدة تتجلى فيها الروح التركية الجديدة . والواقع ان روح تركيا الجديدة ، أشد جلاء في ازمير ، منها في اية مدينة اخرى زرناها الا انقره . ولا غرو فوالبها كانلم باشا من رفاق الغازي في الجهاد الوطني ؛ وهو رجل يأخذ بمجامع قلبك اذ ترى فوق وجه يفيض بنضارة الشباب ، تاجَ الشيب الوقور . ويؤيده في أعمال الاصلاح رئيس البلدية الدكتور بهجت صالح ، وهو شاب لا أظنه تخطى الخامسة والثلاثين يتقد نشاطاً وحماسة وقد سمعناه يخطب فسحرنا ، على جهلنا باللغة التركية ، بفصاحته وحسن ادائه

***

اما بورسة فعاصمة ولاية بورسة ، وهي واقعة على سفح سلسلة من الجبال تغطيها حراج السنديان والدلب والصنوبر ، أعلى قمتها جبل يعرف باسم جبل أولمبوس الآسيوي وبالتركية « اولو داغ » أي الجبل الكبير وقد بني عند سفحه على ارتفاع ٢٠٥٠ متراً فندق حديث للاصطياف وليكون مثابة للذين يمارسون رياضة الشتاء على الثلج

وبورسة تبعد نحو ساعة عن البحر في سكة الحديد او السيارة ، ومرفأها قرية مودانية التي عقدت فيها الهدنة بين الاتراك والحلفاء بعد ما طرد الاتراك الجيش اليوناني من آسيا الصغرى . ويقال ان فرقة الفرسان التركية كانت قد تقدمت نحو صفوف الجيش البريطاني المرابط هناك للدفاع عن مناطق الحياد التي عينها الحلفاء على شاطىء الدردنيل فسحبت فرنسا وايطاليا جنودهما منها وبقي الجيش الانكليزي واقفاً بالمرصاد . وكان يكفي ان تطلق رصاصة

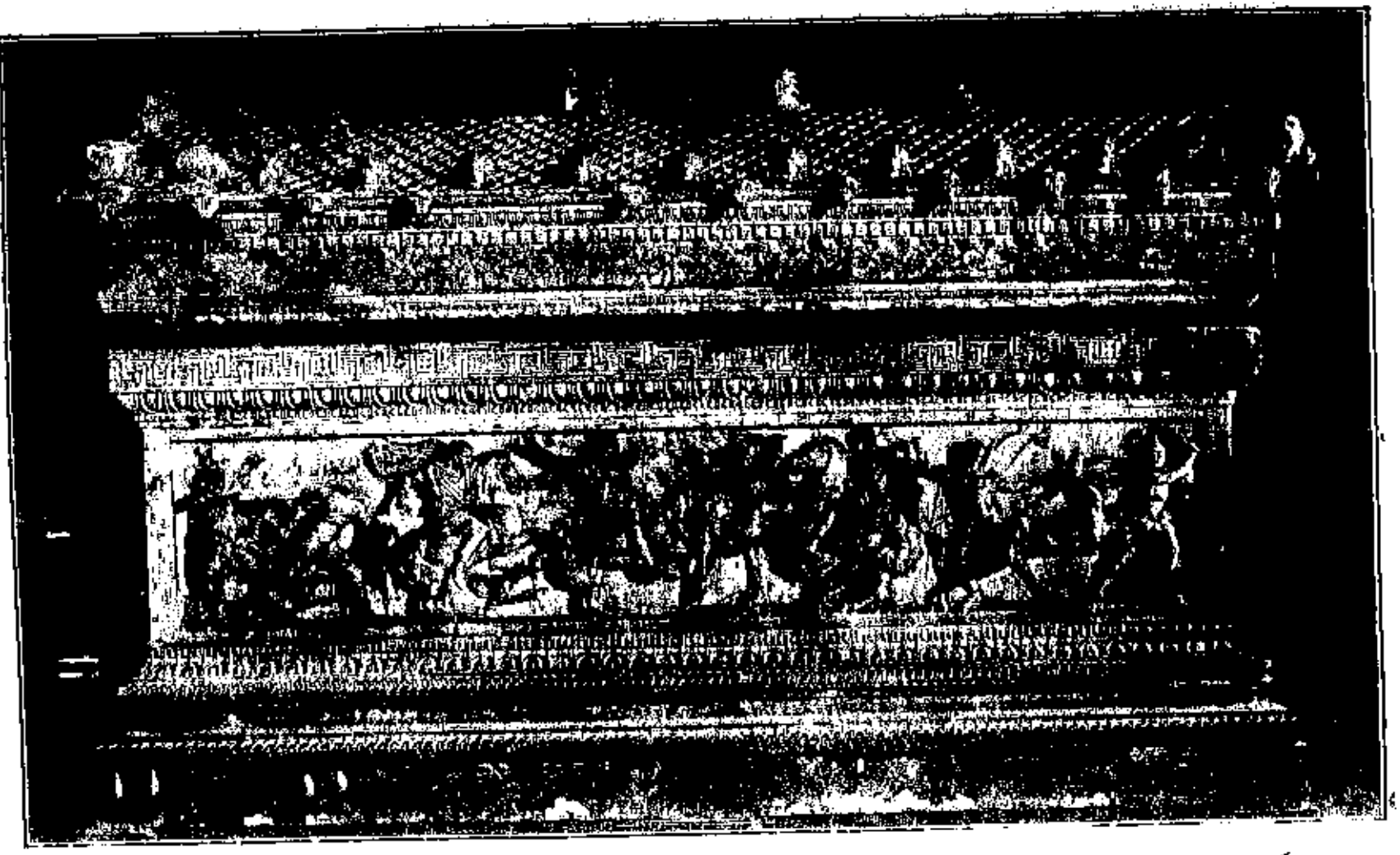

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣ صورة الاسكندر في صيد الاسد انظر صفحة ٣٤٢

واحدة من احد الجانبين لكي يشتبك الفريقان . ولكن الجنرال هرنجتن القائد الانكليزي أبدى من الحكمة والحزم والرغبة الاكيدة في الصلح ما مكنهُ من اجتناب الاشتباك مع الاتراك ، فلما تأكد الحلفاء أن نصر الاتراك في آسيا الصغرى قد تمّ ، دعيت حكومة انقرة الى مؤتمر لعقد الصلح على اساس استرداد تركيا لسيادتها التامة وتعهدها بأن تحافظ في خلال المفاوضات على حرمة مناطق المياه حول الدردنيل والبوسفور

وقد دلونا على البيت الذي عقدت فيه هدنة مودانية . فاذا به صغير لا يمتاز بشيء خاص من حيث المنظر الخارجي ولكن لا بدَّ ان يبقى علماً تاريخيًّا ، لانه يرمز الى اليوم الذي اعترف فيه الحلفاء لتركيا الجديدة بحقوقها الوطنية ، وقد انتزعتها انتزاعاً بحد السيف

وبورسة مدينة قديمة لها مكانة كبيرة في تاريخ آل عثمان ولولا قربها الى البحر لكان الغازي اختارها عاصمة لتركيا الجديدة في بدء الحركة الوطنية في الغالب . تاريخ تأسيسها مجهول ولكن المؤرخ الروماني بلينيوس يشير الى ان هنيبال ، القائد القرطاجني العظيم أنشأها بعد خذلانه في معركة زاما بافريقية والتجائه الى ملك بروسياس في هذه المنطقة . وقد بلغت المدينة اوج عزها في عهد الامبراطور طريانوس الروماني ، وكان بلينيوس الصغير حاكماً لها وله رسائل بعث بها الى الامبراطور يشير فيها الى انشاء حمامات لان فيها ينابيع مياه حارة تفيد في معالجة بعض الامراض . ثم تقلبت عليها الدول والحكام الى ان حاصرها عثمان بن ارطغرل سنة ١٣٠٧ ب.م وبعد مادام الحصار عشر سنوات دخلها اورخان ابنه وأصبحت عاصمة للعثمانيين . وقد ادخل اليها اورخان صناعة القاشاني ونسج الحرير وبنى فيها مراد الأول قصراً فخماً وأنشأ حولها بايزيد الأول المعروف بيلدرم (الصاعقة) اسواراً لما ارتقى عرش آل عثمان سنة ١٢٨٩ ثم فتحها تيمور لنك بعد ما هزم بايزيد في معركة انقرة ونهب جوامعها ثم اشعل فيها النار . وظلت ككرة الصولجان بين ايدي الفاتحين والغزاة الى ان استقرَّ فيها ملك بني عثمان . وقد لجأ اليها الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٨٥٢ — ١٨٥٥ ثم احتلها ابراهيم باشا نجل عزيز مصر محمد علي باشا سنة ١٨٨٣ . ولكن الاحداث الطبيعية وما منيت به المدينة من ثار ونهب محت معالمها القديمة في الغالب

وحول المدينة الآن مزارع توت يربى فيها دود الحرير ، ومصانع حديثة لحلّ الحرير ونسجه وقد زرنا احد هذه المعامل فاذا فيه نحو ٣٠٠ فتاة تحلُّ الحرير وتغزله وتنسجه بالآلات الحديثة قماشاً جيداً . وكان حول المدينة بطائح يزرع فيها الارز ، ولكنها جففت الآن فابيد داء الملاريا الذي كان فاشياً فيها

اما ينابيع المياه المعدنية فيها فمتعددة وهي على نوعين . مياه كبريتية ، ومياه حديدية ، وحرارتها في الغالب عند انبجاسها من الارض نحو ٤٤ درجة بميزان سنتغراد . وقد بني فيها

فندق على احدث طراز ردهاً وغرفاً وحمامات ، وشيد كذلك الى جانبه حمام ضخم ، مرصوف من داخله بالرخام وفيه حوض متسع تظله قبة كبيرة ، وقد قال لنا الذين يعرفون اكس ليبان انه شبيه بحماماتها . وينتظر ان تفتح ابواب الفندق والحمام للزوار في السنة القادمة .

اما الجامع الاخضر ، فمن ابدع ما تقع عليه عينك من آثار العمارة الاسلامية . بني في عهد محمد الاول ( ١٤١٣ — ١٤٢٢ ب. م. ) ومع ما اصيب به من التلف بفعل الزلازل، لا يزال محرابه وما يحيط بالمحراب من القاشاني الاخضر ، آية من آيات الفن الجميل . ويقال انهُ كانت له مآثر ، غشيت كذلك بهذا القاشاني البديع النادر ، ولكن الزلازل هدمتها. ويحيط بجدران الجامع من داخله ، منطقة عرضها نحو قدم ، على علو مترين او مترين ونصف متر ، كلها بالقاشاني وقد رسمت فيها آيات من القرآن الكريم بخط ثلث جميل ، وفي اعلى المنطقة كتابة بالحروف الكوفية ، تصعب قراءتها ، ولم نعلم هل هي نفس الآيات المكتوبة بالخط الثلث او آيات غيرها . وعلى مقربة من الجامع تربة محمد الاول بأني الجامع الاخضر ، وتعرف بالتربة الخضراء ، لتغلب القاشاني الاخضر على نقوشها، وقد نُزع معظم القاشاني الذي غطيت به الجدران من الخارج، اما القاشاني الذي يغطي الجدران من الداخل فمن النوع المعشّق وهو من اندر انواعها واثمنها . وفي نوافذ التربة بقايا من الزجاج الملون

***

سبقني مكاتب المقتطم في استانبول الى وصف يالوفا ، وقد قابلته فيها يستثني من اصابته بعرق النسا فألفيته يثني ولا يفتن ، فأكتفي بأن اقول ان الحمامات التي ازدهرت في ايام قسطنطين وبوستنيانوس ثم طغت عليها الاجنة ، قد وجهت اليها عناية خاصة في هذا العهد ( بدئت العناية بها سنة ١٩٢٩ ) فبنيت النزل والحمامات على احدث طراز مألوف في مدن الحمامات في اوربا وتعهدها اطباء بارعون من الترك . وحرارة مياهها الكبريتية تبلغ ٦٦ درجة بميزان سنتغراد عند انبثاقها من الارض والمغازي فيها دار يؤمها في فصل الصيف احياناً وفيها كذلك دار لعصمت باشا . وقد حدثنا الدكتور سليمان عزمي عما خبره من فائدتها في سيدة كانت مصابة بالروماتزم ، فوصف لها الذهاب الى داكس بفرنسا ، فذهبت وعادت ولم تصب من العلاج هناك الا فائدة يسيرة . وفي السنة التالية ذهبت الى استانبول ، فحدثها اصدقاؤها اتفاقاً عن مياه يالوفا . فتعالجت بها ، ويشهد الدكتور عزمي — وهو الخبير الذي يزن الكلام بميزان الذرّ — انها اصابت في يالوفا من الفائدة ما لم تصبه في داكس وانها بعد علاج آخر في السنة التالية شفيت مما المّ بها

والمسافة من استانبول الى يالوفا تستغرق نحو ساعتين ونصف ساعة من السفر بحراً ونحو ثلث ساعة بالسيارة . والطريق اليها من الفرضة البحرية ممهّد مرصوف

مدخل جامع السلطان احمد

المحراب والقبلة في جامع السليمانية

مقتطف أكتوبر ١٩٣٣

وهي واقعة في وادٍ يرتفع نحو مائة متر او تزيد عن سطح البحر ، تحيط بها الجبال وقد كستها الحراج كساء سندسياً يأخذ البصر ، ونسقت في جوانبها الحدائق ، وبنيت السلالم لكي يسهل على نُزّالها الصعود من الوادي الى قمة الاكمة التي بني عليها الفندق الكبير . وكان للمنتظر ان نبيت فيها ليلتنا ، ولكن الفندق الكبير والنزل الاخرى كانت مزدحمة بالزوّار . فغادرناها بالسيارة الى بورسة

— ٤ —

شاهدنا في استانبول نصباً قائماً على ربوة تشرف على البوسفور يمثل نضال تركيا لاسترداد حريتها بزعامة رجل لعله في مقدمة زعماء الامم في هذا العصر او هو معهم في المقدمة . فعلى الجهة الواحدة ترى الغازي مرتدياً لباسه العسكري يقود اتباعه الى ساحة القتال . وعلى الجهة المقابلة الغازي كذلك والى يمينه عصمت باشا والى يساره فوزي باشا ومن ورائهم رجال الحركة الوطنية وكلهم بلباس السهرة الاوربي . هنا يقع في عيني الغازي نور البهجة لان النصر قد تمّ وها هو يقدم لشعبه الحرية التي انتزعها لهم وبهم من براثن الاسد

ثم ان كل صورة تراها للغازي حتى طوابع البريد تراهُ فيها مرتدياً ثياب السهرة الاوربية في الغالب . ولو ان الزائر بقي في استانبول لاحسّ ان كلّ ما قيل وردد عن الانقلاب التركي انما يشير الى تغلب الازياء الاوربية على الازياء الشرقية القديمة ويقتصر عليها . فالرجال يلبسون القبعات والنساء يسرنّ سوافر في الشوارع . أكان من الضروري ان تثار حرب دامية ويقع انقلاب عظيم لتحقيق هذا ؟

والواقع انك اذا شئت ان تلمح طرفاً من تركيا الجديدة يجب ان تزور انقره العاصمة . ان مشهدها ابعث المشاهد على الاعجاب والدهشة . فهي تفسر لك كثيراً مما تراهُ من المتناقضات في حياة تركيا الجديدة . يصرُّ الاتراك على ارتداء الملابس الاوربية ولكنهم ينقلون عاصمتهم من اوربا الى آسيا . لقد اخرجوا الارمن واليونان من كل نواحي الجمهورية الاّ استانبول . ومع توجسهم من الاجنبي الناشيء عن رغبتهم في استكمال عناصر استقلالهم التام في بدء الحركة الوطنية ، ترى المهندسين الالمان والفرنسويين يشيّدون في انقره آخر طراز من «الفيلات» الاوربية

ولكن انقرة رمز للروح الجديدة . هي على ما قال احدهم في باريس جوّ تتنسمهُ . ففي عيون سكانها شباباً وكهولاً رجالاً ونساء ترى ذلك الالق المنبيء عن يقظة الروح . وفي حديثهم تتبين ارادة الحياة حاسمة قاطعة كالسيف المصقول . هي رمز لتحرر تركيا من قيود الامتيازات ونفوذ الاجانب وربقة الاستعباد لرؤوس الاموال الاجنبية . هي رمز للجلاد بين الامة التركية المتجددة والطبيعة الجافية حيث اقيمت معالم المدينة الجديدة

تبدأ الرحلة الى انقره باجتياز مدخل البوسفور من جسر غلطة الى حيدر باشا باخرة

من البواخر الكثيرة التي تنقل الناس بين استانبول وضواحيها الاسيوية في اشقودار وحيدر باشا وجزائر الامراء . وتنزل من السفينة فيستقبلك بناء محطة ضخمة تخترقهُ فاذا انت امام ارصفة واسعة نظيفة وعلى الخط الحديدي قطار الحقت بهِ ثلاث مركبات نوم . كانت الساعة السادسة لما قام القطار من حيدر باشا مخترقاً سهول الاناضول الشرقي فاذا هي من اخصب البلدان التي رأيناها. حراج غضة وحدائق غناء تكثر فيها اشجار الاثمار وبيوت لا بأس بها في الغالب . ولكنك لست تجد بينها قصوراً ريفية كالتي تنتظر ان تراهُ في مثل هذا الريف الجميل

وسار بنا القطار يقطع السهول والجبال فتناولنا في عربة الاكل طعام العشاء وطعام الافطار ومررنا باسكي شهر التي كان لها شأن خطير في حرب الاستقلال في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . فلما اصبح الصباح كان القطار يجتاز نجداً علوهُ نحو الف متر عن سطح البحر تدل تربتهُ على انهُ شديد الخصب . ولكنهُ أجرد قاحل في الغالب لقلة اليد العاملة . ولكن الاستاذ رمزي كان يوجه انظارنا من حين الى حين الى الاشجار الكثيرة التي تغرس الآن بامر الغازي. والى المزارع المثالية التي تبنى لتكون بيوتها الصغيرة المهندمة النظيفة التي استوفيت فيها شروط المعيشة الصحية نماذج لفلاحي البلاد يقتدون بها . فلما مررنا امام مزرعة الغازي وهي على خمسة كيلو مترات من انقره استرعى بصرنا منطقة واسعة من الارض خضراء اللون تغطي أكمة وسفحها والسهل الذي عند اقدامها . فقيل لنا ان هذه المنطقة كانت قفراً يباباً قبل بضع سنوات لا تزيد على العشر ولكنها اليوم تحوي عشرة ملايين شجرة مئة ملايين منها اشجار فاكهة واربعة ملايين اشجار زينة . والغازي شديد العناية بتشجير النجد المحيط بانقرة لان انقره في نظره وفي نظر الشبيبة التركية رمز الفوز في حرب الاستقلال بل هي رمز ايضاً كما قدمنا للفوز في الحرب التي تثيرها الامة التركية الآن على جفاء الطبيعة حول عاصمتها الجديدة

وانقرة منطقتان — القرية القديمة — وهي قائمة على اكمة صخرية ترتفع نحو ٥٠٠ قدم فوق النجد الذي يحيط بها على الضفة اليسرى من نهر «انكوري سو» وهو احد روافد نهر سقاريا الشهير . وتبعد عن استانبول نحو ٥٧٠ كيلو متراً على خط السكة الحديدية . تتوج الاكمة قلعة قديمة ؛ ولكن القرية نفسها حقيرة كل الحقارة ، بيوت صغيرة متراكم بعضها فوق بعض مبنية بالطوب المجفف بالشمس ، وطرقات ضيقة مظلمة مرصوفة بالحجارة الكبيرة فيصعب المشي فيها ، بل ان اجتياز السيارات لها من العجائب . وتجد بين البيوت آثاراً قديمة بعضها ضخم ، لان انقرة تمتُّ الى الحضارات القديمة بصلة متينة . فقد كانت في عهد الرومان عاصمة لاحدى ولايات الامبراطورية الرومانية . وقد فتحها الفرس والعرب . ثم تعاقب عليها الترك السلاجقة فالصليبيون فالعثمانيون ومن أشهر الآثار الباقية فيها انقاض هيكل لاوغسطس

اما المدينة الجديدة فقائمة في النجد الذي تشرف عليهِ الاكمة والقلعة .وهو كالح جاف كان

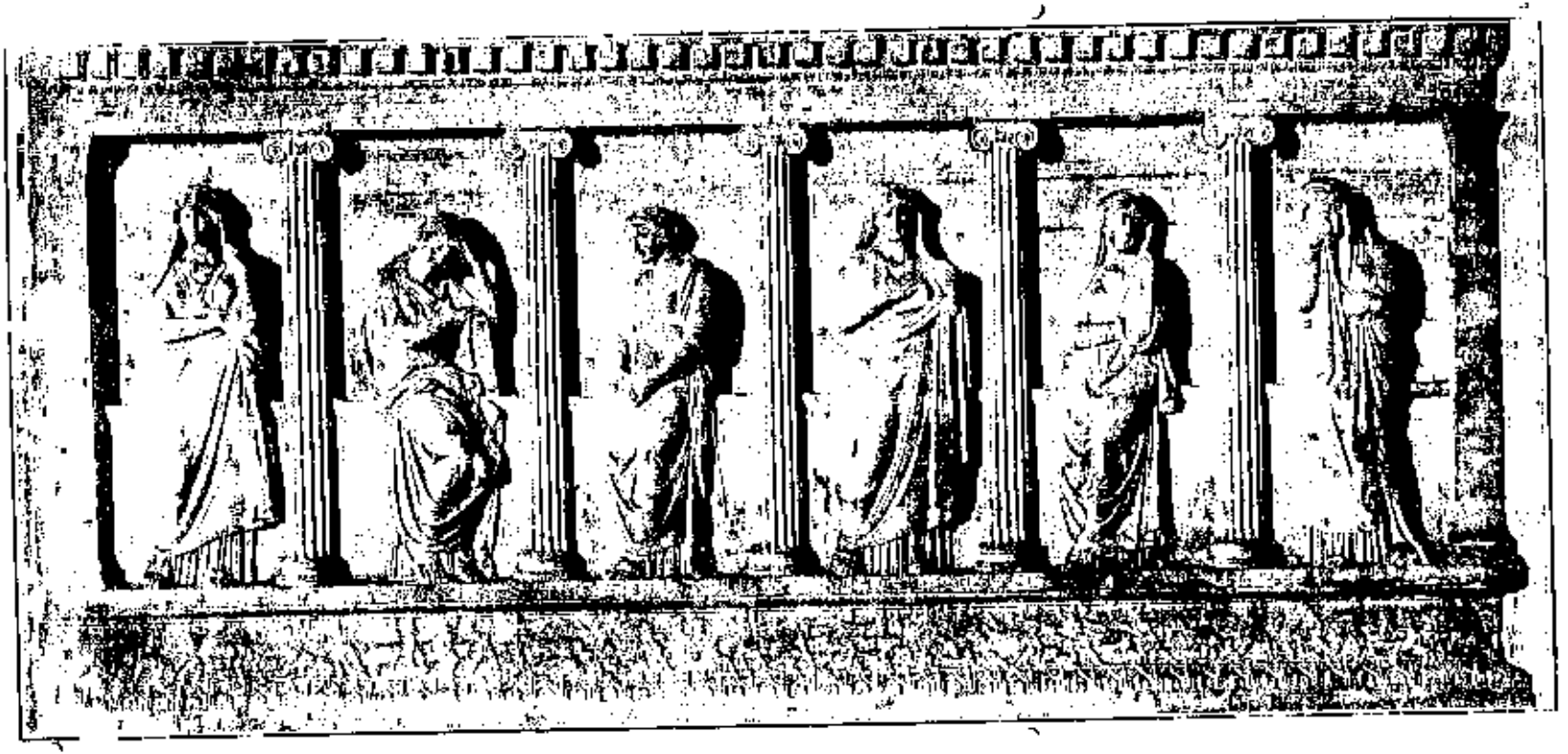

ناووس النادبات



انظر صفحة ٣٤٢

فيه مستنقعات يكثر فيها بعوض الانوفيليس الناقل للملاريا وكان السكان معصابين بها فأورثهم الضعف والسقم . ولكن المستنقع جفف ، والبعوض أبيد . وقد اكد لنا رجال الصحة انك لن ترى بعوضة واحدة في دائرة تبعد عن انقرة عشرين كيلو متراً من كل ناحية بل ان قطار استانبول لا يلبث ان يصل الى محطة انقرة وينزل منه المسافرون حتى يصعد اليه رجال الصحة لتبخيره

ترى المدينة ممتدة أمامك من سفح الاكمة الى رحاب النجد ، كأنها بشوارعها الفسيحة وبيوتها النضرة صفوف جيش يغزو . وليس امامه الا الطبيعة الجافية يغزوها . وليس له الا سلاح الارادة الماضية والايمان بزعامة الغازي سلاح يغزوها به . وأي سلاح أقوى من هذا السلاح

فدورها العامة والخاصة ، مبنية على احدث طراز . حتى قال احد الكتاب انه رأى في انقرة افضل امثلة على العمارة الاوربية الحديثة . فانك اذا اخذت أنقر احياء هليوبوليس وبسطته فوق متسع من الأرض كانت لك صورة لانقرة عاصمة الجمهورية التركية

تخرج من المحطة في سيارات ( تاكسي ) كأنها لفخامتها ونظافتها سيارات خاصة فتجتاز شارعاً عريضاً ترى على يمينه فندقاً حديثاً فخماً ، هو فندق انقرة بالاس ، وفيه يقيم الغازي بعض الحفلات العامة خلال فصل الشتاء . وامام الفندق الى اليسار بناء مجلس الامة وامامه حديقة عامة غناء وامام الحديقة ميدان فسيح لعرض الجيش . ثم تجتاز الشوارع الاخرى : هنا بنك ايش وهو مبني بالحجر السماقي أسسه الغازي من نحو عشر سنوات وقد احتفل بانقضاء عشر سنوات عليه ونحن في انقرة يوم ٢٦ اغسطس . وهناك وزارة الصحة وهي بناء أنيق ووراءها مستشفى نموذجي وعلى مقربة منها دار الهلال الاحمر وهناك ثكنة الجيش ومقر أركان الحرب ومدرسة التجارة . ثم تصعد في شارع بديع الى الاكمة المناوحة لاكمة انقرة القديمة تنتشر بسفارات الدول وبيوت الوزراء . فاذا وصلت الى القمة فانت امام « تشان كايا » وهو مقر الغازي ومنه ادار حرب الاستقلال . هنا البناء القديم الذي كان يجلس فيها الغازي في الايام السود ، يدخن لفافة من التبغ الرخيص ، وانباء السوء في بعض الليالي تأتيه تترى ولكن نور الامل في نفسه لا يخبو وايمانه بقوة الامة التركية لا يضعف وحد عزمه الماضي لا تفله الاحداث

لذلك اشار احد شعراء تركيا الشبان الى ذلك ، وقد تمثل فقر الأمة التركية كأنه المطمح الاعلى ، فقال : « ان الطريق الصاعد الى تشان كايا هو الطريق نحو السماء » . وعلى مقربة من البناء القديم اقيم بناء جديد للغازي بالحجر السماقي على طراز حديث يجمع بين البساطة وسلامة الذوق

أما منشآت انقرة الصحية والتهذيبية والاجتماعية فكثيرة ، وبها يباهي الاتراك ويفاخرون . ففي معهد عصمت وهو بناء ضخم ، تجد خمسمائة فتاة تتعلمن فنون تفصيل الملابس وصنع القبعات والعناية بالاطفال ومبادىء التمريض واصول الطبخ وصنع الحلوى . زرناه فقابلتنا وكيلته ، وهي سيدة تركية بهية الطلعة ذكية الفؤاد شديدة الغيرة على عملها . فذهبت بنا من

قسم الى قسم وهي تشرح لنا ونحن نحس في بسمتها ونبرة كلامها معنى المباهاة بما يقوم به هذا المعهد وماله من اثر في تثقيف الفتاة التركية تثقيفاً يعدها للحياة العصرية الحافلة بالتبعات والتعليم في هذا المعهد من دون لقاء . فلما سألتها كيف تختارين الطالبات قالت اننا لا نختار فكل فتاة تطلب الانضمام اليه تقبل فيه . فقلت واذا ضاق البناء عن الاتساع لهن جميعاً ، فاشارت من الشرفة وفي اشارتها بلاغة وفخر ، اننا نوسع البناء وها هو جناح جديد نبنيه

وثمة معهد آخر، يدعى معهد الغازي، وهو دار للمعلمين، شيّدت على ربوة الى جنوب المدينة كاملة المعدات . غرفها واسعة حسنة التهوية كثيرة الضوء . جدرانها نظيفة وابوابها نظيفة وارضها نظيفة . دخلنا معامل الطبيعة والكيمياء فالفيناها جامعة لكل الادوات الحديثة التي لا بد منها في تعليم هذين العلمين . ولقينا استاذ الادب التركي فيه ، فدلنا من شرفة للمعهد ، على جبل قال ان فيه مدفن امرؤ القيس ، ولعله سيب الذي اشار امرؤ القيس اليه في بيتيه المشهورين

اجارتنا ان الخطوب تنيب وانى مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

وثمة معهد للموسيقى : والغازي شديد العناية بالفنون ، لذلك بعث بطائفة من الشبان الى اوربا لدرس اصول الموسيقى حتى يعودوا الى بلادهم وينشئوا فيها بالاساليب الاوربية موسيقى مطبوعة بالطابع التركي . والتعليم بالمعهد مجاني كذلك ولكن الطلاب يجب ان يجوزوا امتحانات معينة لكي ينتخب منهم من فيه استعداد خاص للتفوق في الموسيقى

والمنشآت الصحية كالمستوصفات والمستشفيات وملاجىء الفقراء كثيرة . والعناية بها كبيرة وقد ندب لادارتها والعمل فيها طائفة من خيرة الاتراك رجالاً ونساء . هنا تجد من النساء المعلمة والمديرة والممرضة والطبيبة وطبيبة الاسنان . ولولا ضيق المقام لتوسعت في وصفها ولكنني سوف افرد لها وللتعليم فصلاً خاصًّا

والاحساس الذي تخرج به من زيارة هذه المعاهد جميعاً هو ان الشعب التركي يشعر الآن ان له كياناً وانّ لهُ تنشىء الحكومة ما تنشىء . حالة ان الشعب كان في العصور السالفة كالحجر ازاء الحاكم الفرد . فتركيا رغم ما يعرف بالدكتاتورية فيها وعدم قيام حزب امام حزب الشعب سائرة في طريق الديمقراطية الصحيحة . ولكن هذا الطريق وعر وطويل ويحتاج الى عهد طويل من المرانة والتثقيف

اما مقام انقرة في حياة الجمهورية التركية فيلخص في قول النائب والكاتب البليغ روشان اشرف حيث يقول « لقد انقطرت نفسي اذ تركت استانبول ولكن الطريق الى انقرة كانت طريق الكرامة »

فؤاد صروف